

القضية الفلسطينية في أدب البشير الإبراهيمي

من الاحتجاج اللغوي إلى الاستدلال المنطقي

*The Palestinian Issue in the Literature of Bashir Al-Ibrahimi:
From Linguistic Argumentation to Logical Inference*د مكناسي صفية¹

جامعة أمحمد بوقرة بومرداس

s.meknassi@univ-boumerdes.dz

mak-s@hotmail.fr

تاريخ الوصول 2024/02/08 القبول 2024/05/09 النشر على الخط 2024/06/01

Received 08/02/2024 Accepted 09/05/2024 Published online 01/06/2024

ملخص:

شكلت القضية الفلسطينية هاجسا أسلوبيا هاما في كتابات البشير الإبراهيمي، من خلال ما تحمله من أثر عقدي، وتصور معرفي يحيل على تجليات الانتماء، والأحقية في الذود عنها، حيث شغلت القضية حيزا هاما في انشغالات جمعية العلماء المسلمين، في تحديد معالم الهوية، والانتماء لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية، والمتفحص للتراث النثري للإبراهيمي يجده يزخر بنتاج أدبي غزير، حول القضية والدفاع عنها، ردا وتفنيدا لكل الادعاءات الكاذبة، التي تحاول طمس حقيقة الأحقية للعرب بفلسطين وتعزيز الدعوة للحق في الدفاع عنها، من خلال أسلوب الحجاج الذي عرف به. انطلاقا من هنا ماهي أهم المرتكزات الحجاجية اللغوية منها والمنطقية التي اعتمدها في خطاباته؟ وكيف تجلت صورة فلسطين في كتاباته الأدبية؟

نزنو من خلال هذه الدراسة استجلاء الفكر الاحتجاجي عند زعيم النهضة العربية، البشير الإبراهيمي والوقوف على أهم الآليات اللغوية والحجج المنطقية في تحقيق الإقناع، وتوجيه الأمة العربية إلى الدفاع عن القضية الأم وهي القضية الفلسطينية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، القضية الفلسطينية، الإبراهيمي، الاحتجاج، الاستدلال.

Abstract :

The Palestinian issue has been a significant stylistic concern in the writings of Bashir Al-Ibrahimi, reflecting a profound ideological impact and cognitive perspective that allude to manifestations of belonging and entitlement to defend it. It occupied a prominent place in the preoccupations of the Muslim Scholars Association, constituting one of their primary concerns in defining the contours of identity and affiliation to achieve Arab and Islamic unity. A scrutiny of Al-Ibrahimi's prose heritage reveals a rich literary output revolving around the issue and advocating for it, refuting all false claims attempting to obfuscate the Arabs' rightful claim to Palestine and reinforcing the call for the right to defend it through his renowned argumentative style. Hence, what are the key linguistic and logical argumentation strategies he employed in his discourse? And how did the depiction of Palestine manifest in his literary works?

Keywords: Palestinian Issue, Al-Ibrahimi, Argumentation, Inference.

¹ المؤلف المراسل: د. مكناسي صفية البريد الإلكتروني: s.meknassi@univ-boumerdes.dz

1- تمهيد:

مثّلت القضية الفلسطينية في كتابات البشير الإبراهيمي مرجعا هاما في تحقيق أهداف جمعية العلماء المسلمين، بل قل كانت هدفا أساسيا، من الأهداف التي كان يرنو بها لتحقيق الهوية والانتماء والعروبة، من خلال أسلوب الاحتجاج الذي عرف به الرجل، خصوصا اللغوي منه، حيث "تشكل اللغة في أدب الإبراهيمي الخلية الحية لمقياس درجة العمق التي يرتفع إليها أدبه، ويلتقي عنده مفهوم اللغة مع مفهوم الأدب" ¹ ليشكل كلا متكاملا في تجسيد غايات الخطاب الحجاجي، انطلاقا من هذا الطرح كيف تجلت ملامح الحجاج للقضية الفلسطينية في كتابات البشير الإبراهيمي؟ وماهي أهم المرتكزات التي اعتمدها في ذلك؟

للإجابة عن هذه التساؤلات، وقصد تحقيق مرامي هذه الدراسة تتبعنا المنهج الأسلوبي في تقصي مناحي الحجاج اللغوي، والاستدلال المنطقي للوقوف على الخاصية الحجاجية في النصوص الأدبية وتحليلاتها في البنى الداخلية للخطاب، وآثارها المنتظرة على الملتقى في التوجيه والحث والاستنهاض.

2- الاحتجاج اللغوي للقضية الفلسطينية:

يقول البشير الإبراهيمي في مقال موسوم جمعية العلماء وفلسطين: "أيها العرب إنّ قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائرکم، وهممکم وأموالکم ووحدتکم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم وإنما هي للعرب کلهم، وليست حقوق العرب تنال بأنّها حقّ في نفسها، وليست تنال بالهوان والضعف، وليست تنال بالشّعريّات والخطايّات، وإنّما تنال بالتّصميم والحزم والاتحاد والقوة . إنّ الصهيونيّة وأنصارها مصمّمون، فقابلوا التّصميم بتصميم أقوى منه، وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن وكونوا حائطا لا صدع فيه وصفا لا يرقع بالكسالى" ².

يقيم البشير الإبراهيمي استراتيجيته الحجاجية من خلال هذا النسق اللغوي المحكم البناء للقضية الفلسطينية الجريئة، مدافعا تارة ومكذّبا للإدعاءات تارة أخرى، من خلال جملة الروابط اللغوية المستخدمة، التي تعدّ اللبنة الأساسية، في بناء الخطاب من خلال ما تؤديه من وظائف تحقق انسجامه واتساقه، وتبرز قيمتها الحجاجية في الربط بين الوحدات الدلالية، التي تهدف إلى تحقيق الإقناع، حيث "إنّ الروابط والعوامل الحجاجية هي المؤشر الأساسي و البارز، وهي الدليل القاطع على أن الحجاج مؤثر له في بنية اللغة نفسها" ³ من خلال الربط المتساوق بين الحجج فيما بينها ومن خلال الربط بين الحجج والنتيجة، عن طريق التأييد أو الرفض والإبطال للقضية المتحاجج لها.

2-1 دلالة التأييد:

يرتبط الاستعمال الحجاجي الخاص بالتأييد بالحالة التي يكون عليها المحاجج، وبالموقف الذي يقفه منها، وهو التعزيز والدعم لها بمختلف الحجج والبراهين، التي تستلزم النتيجة المطلوبة من القضية وتقتضيها اقتضاء منطقيا، حيث يستخدم الإبراهيمي الأداتين "إنّ" و "إنّما" للاستعمال الحجاجي التأييدي في مواضع متفرقة في هذا المقطع:

¹- جابر عصفور، الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، 1984، 390.

²- البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر، 2007، ص: 495.

³- أبو بكر الغزالي، اللغة والحجاج، العمدة في الطبع، الأحمدية، المغرب، ط1426، 1/2006م، ص: 55.

1- إن فلسطين محنة.....الحال الأولى.

2- إنما هي للعرب.....الحال الثانية.

3- إنما تنال.....الحال الثالثة.

4- إن الصهيونية.....الحال الرابعة.

ينتقل الإبراهيمي من خلال هذه الاستعمالات للروابط اللغوية من حال إلى حال، من الحال الأولى وهي كون فلسطين محنة و ابتلاء أولاً، والابتلاء يتطلب صبرا و رضا و عزيمة و قوة، إلى الحال الثانية وهي صيغة للتأكيد أنها للعرب وليست لغيرهم، لشحذ الهمم وحثها إلى الاستنهاض، ثم إلى الحال الثالثة، وهي الكيفية التي تنال بها، وما تتطلبه من إصرار وإقبال ومواجهة، ومن ثم الحال الرابعة، وهي تصوير المخالب التي أحاطت بفلسطين، حتى تعدّ العدة اللازمة من أجل استرجاعها.

بالإضافة ترتيب الحجج في منحى تساقوي واحد يخدم الفكرة المراد الاحتجاج لها، من خلال تأييدها وتعزيز قوتها، هناك نوع "من العلاقات الحجاجية التي تدرج ضمن الاستعمال التأييدي أيضا نجد علاقة الاقتضاء، وتعدّ هذه العلاقة ذات طاقة حجاجية عالية، حيث تجعل الحجة تقتضي النتيجة اقتضاء، فتغدو العلاقة حينئذ ضربا من التلازم، وأقدر الروابط الحجاجية على توفير هذا النوع من العلاقات نجد أدوات الشرط المختلفة"¹ حيث كل حجة تقتضي لزما نتيجة منطقية بعينها.

من القوى إلى الأقوى ينتقل الإبراهيمي في عرض الحجج، والبراهين حول أحقية العرب بفلسطين قائلا: "إن فلسطين أرض عربية لأنها قطعة من جزيرة العرب، وموطن عريق لسلائل العرب، استقر فيها العرب أكثر مما استقر اليهود، وتمكّن فيها الإسلام أكثر مما تمكّنت اليهودية، وغلب عليها القرآن أكثر مما غلبت التوراة، وسادت فيها العربية أكثر مما سادت العبرية، ومن ضاقت به رحاب الدنيا لا تسعه فلسطين، ومن لفظته حواشي الأرض لا تستقر به فلسطين"²

يؤكد الإبراهيمي هنا على حقيقة أنّ "فلسطين عربية" كنتيجة حتمية تستلزمها، وتقتضيها جملة الحجج الآتية:

- لأنها قطعة من جزيرة العرب.....الحجة الأولى.

- موطن عريق لسلائل العرب.....الحجة الثانية.

- استقر فيها العرب أكثر من اليهود.....الحجة الثالثة.

- تمكّن الإسلام فيها أكثر من اليهودية.....الحجة الرابعة.

- غلب عليها القرآن أكثر من التوراة.....الحجة الخامسة.

- سادت العربية فيها أكثر من العبرية.....الحجة السادسة.

يحاول الإبراهيمي في هذا المقطع أن يقدّم البراهين والحجج حول كون فلسطين عربية، وأحقية العرب في هذا الموطن المفدى، المقدس من خلال ترسانة من الحجج الدامعة والحقائق الواضحة، يشهد بها التاريخ والزمن، من الأقدمية في الوجود، إلى التمكن للإسلام

¹- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1432، 2/2011م، ص:321.

²- البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص:494.

فيها، وهيمنة القرآن عليها، وسيادة اللغة العربية فيها، ثمّ يعزّز موقفه هذا بعرض مشاهد تاريخيّة قويّة، بصفتها حججا دامغة ضد الادعاءات بالأحقية قائلا:

-من ضاقت به رحاب الأرض لا تسعه فلسطين.

-من لفظته حواشي الأرض لا تستقر به أرض فلسطين.

يدلّل الإبراهيمي من خلال هذا العرض المشهدي، على أنّ من يدعون الأحقية في الأرض لا يملكون الحقّ فيها، وقد شهد التاريخ بأنّهم حفاة رعاة لا أرض لهم ولا وطن، لفظتهم حواشي المعمورة "أمّا الحديث عن التّشرد والمشردين من اليهود فهو مشترك إلزام في القضية، وما أكثر المشردين في الأمم الإسلامية، بل ما أكثر المشردين من العرب، فإذا أخذنا الرحمة بالمشردين قاعدة، كان أحقّ النّاس بها مشردي العرب، الذين لا يفصلهم عنها بحر، ولا يقال في هجرتهم إليها إنّها شرعيّة أو بدعة كما يقال في هجرة اليهود، وما ظلمت كلمة الشرع بأفحش من نسبة الحيل إليها عند بعض فقهاء، ومن نسبة الهجرة اليهوديّة إليها عند فقهاء الاستعمار"¹.

فما التّشرد هنا إلّا حجة واهية يدعيها أهل الباطل ليحقوا لأنفسهم ما هو ليس لهم في الأصل، لا بميزان العقل والمنطق، ولا ميزان العدل والحق، فكيف لهؤلاء الادعاء والمساومة؟ وكيف لهم الجرأة على القول؟ وكلّ المعايير والقوانين التي سنّها و نصبوها ضدّ أقوالهم و ادعاءاتهم، تخالفها مخالفة عكسية واضحة، انطلاقا من هذا الوضع اللامنطقي، وهذا الحال غير المقبول جاء خطاب الإبراهيمي معارضا للادعاءات الكاذبة، ناسفا لها وفق استراتيجية الرفض والإبطال المعتمدة .

-2- دلالة الرفض والإبطال:

يستخدم البشير الإبراهيمي هنا الأداة "بل" التي تربط بين حجتين متساوئتين، وعادة الحجة التي تلي الأداة بل تكون أقوى من التي تسبقها، بغرض تعزيز الحجة و تأكيدها، حيث الحجة الأولى جاءت ردا للادعاء القائل أنّ فلسطين حقّ للمشردين في العالم، فإنّ كان هذا الادعاء لزاما للقضية، فإنّ المشردين من المسلمين أحقّ بها، ثمّ المشردين من العرب أسبق في الأحقية، ثمّ إنّ العرب هم الأقرب في الفضاء الجغرافي لفلسطين، فكيف تأتي هذه الشذمة و تحقّ لنفسها ما ليس لها الحقّ فيه.

لرفض هذا الادعاء وإبطاله انتهج الإبراهيمي استراتيجية حجاجيّة تنطلق من الادعاء ذاته، والمتمثل في كون فلسطين حقّ للمشردين في العالم، ثمّ في سلم حجاجي تراثي يعرض حججه من القويّة إلى الأقوى، حيث:

الحجة الأولى "القوية": إذا اعتبرنا فلسطين حقّ للمشردين في العالم، فهناك مشردين مسلمين لهم الحقّ أولا بحسب هذا الادعاء.

الحجة الثانية "الأقوى": هناك مشردون من العرب لهم الحق أيضا بحسب هذا الادعاء دائما.

الحجج الداعمة للحجة الثّانية: تجلّت في كون:

- العرب هم الأقرب لفلسطين لا يفصلهم عنها بحر ولا نهر.

- هجرتهم لها لا تعد هجرة بحكم الجيرة.

¹-البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص:494.

في موقع آخر يقول الإبراهيمي متعجبا: "يا بخس فلسطين... أبيعها من لا يملكها؟ ويشتريها من لا يستحقها؟ يا هوان فلسطين... أكون من ذوي الحق في بيعها تلك الدويلات التي لم تخلق خلقا طبعيا وإنما خلقتها المنافسات، والتي لم يبلغ الكثير منها جزءا مما بلغته فلسطين، من مجد في التاريخ وسابقة في الحضارة، ويد في نفع البشرية، بل لم تبلغ مجتمعة ما بلغته فلسطين من احتضان النبوات واستنباط الشرائع والعلوم والحكم"¹.

توالت الحجج عند الإبراهيمي في إبطال الدعوى الكاذبة، والافتراءات الباطلة، المتمثلة في الحق في البيع، والحق في التصرف في فلسطين، من خلال استخدام الأداة "بل" التي تفيد ترتيب الحجج من القويّة إلى الأقوى، في نسق لغوي محكم البناء، فالمنطق يقول أنّ الأسبق في الوجود هو الذي يحق له البيع والتصرف، فكيف تعكس الأمور؟ ويأخذ زمامها من لا حق له؟ من خلال أسلوب التعجب المستخدم، والحجة التي جاءت بعد الأداة بل هنا، كانت أقوى من الحجج الأولى مجتمعة، حيث يكفي فلسطين حجة في الأسبقية أنّها قبله النبوات كلها، ومجمع لاستنباط الشرائع الدينية، والعلوم والأحكام الدينية والدينيّة. كان الاحتجاج اللغوي للقضية الفلسطينية عند البشير الإبراهيمي قوي الوقع، عال الصيت حيث "إنّ اللغة المستعملة عنده عميقة في ذاتها، عميقة الدلالات والتفسيرات، لا من حيث المتانة و قوة فقط ولكن من حيث المقصود الذي عمله معها"² فاللغة الحجاجيّة هنا لغة محكمة السبك، قويّة الدلالة على المقصود، تقتضي النتيجة المراد تحصيلها اقتضاء منطقيا لا ريب فيه ولا شك.

3- الاستدلال المنطقي للقضية الفلسطينية:

3-1 الحجج المنطقية:

يعتمد الحجاج في الخطاب الأدبي على الآليات اللغوية، كما يعتمد أيضا على الحجج المنطقية التي تحيله بدورها على نتائج حتمية، والحجج المنطقية هنا هي تلك التي تقوم "بالأساس على المنطق الصوري القائم على الاستدلالات الرياضية، والتي تتميز بوجود الحتمية في طرائق البث في المجالات الخلافية، وتتخذ عدّة مبادئ في ذلك منها مبدأ الهوية، ومبدأ التبادل، ومبدأ التعدية، ومبدأ القسمة"³ وهذه المبادئ وغيرها من الآليات الرياضية تسهم في "وجود الحتمية الاستدلالية بين المقدمات والنتائج"⁴ حيث العلاقة الجامعة بين الحجج المقدمة، والنتائج المتوصل لها تكون علاقة استلزام منطقي، واقتضاء حتمي.

حتى يدلّل الإبراهيمي على مبدأ الهوية، والانتماء والأحقية للإسلام وللمسلمين بقضية فلسطين، يأتي بجملة من الحجج المنطقية، والشواهد التاريخية لتدكيّة خطابه الحجاجي، وإثبات الأحقية في الانتماء قائلا: "يا فلسطين. إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء و التراب، والمآرب التي يقضيها الشباب، فإنّ هوى المسلم لك أنّ فيك أولى القبلتين، وأنّ فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وأنّك كنت نهاية المرحلة الأرضية، وبداية المرحلة السماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودا، بعد رحلة

¹ -البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 503.

² -محمد عباس، البشير الإبراهيمي أدبيا، ديوان المطبوعات الجامعية، وهران، الجزائر، ص: 332.

³ -محمد طروس، النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية، دار الثقافة للنشر و التوزيع، الدار البيضاء، المغرب، ط1426، 1/2005م، ص: 31.

⁴ -عمارة ناصر، الفلسفة و البلاغة، مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1430، 1/2009م، ص: 90.

آدم الواصلة بينهما هبوطاً، وإليك ترامت همم الفاتحين تحمل الهدى والسلام وشرائع الإسلام، وتنقل النبوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة، وثمار الوحي الجديد إلى منابت الوحي القديم وتكشف عن الحقيقة التي كانت وقفت عند تبوك، بقيادة محمد بن عبد الله، ثم وقفت عند مؤتة بقيادة زيد بن حارثة، فكانت الغزوتان تحويهما من الإسلام عليك، وكانت الثالثة ورداً، وكانت النتيجة أنّ الإسلام طهرّك من رجس الرمان، كما طهر أطراف الجزيرة من رجس الأوثان¹.

إنّ الحجج المنطقية التي استعان بها إبراهيمي في خطابه الأدبي جاءت كلها لخدمة النتيجة التي يرنو تحقيقها في نهاية قوله، وهي الأحقية للإسلام والمسلمين بالقضية الفلسطينية، حيث ليس من المعقول، ولا المنطقي أن تدّعي ادعاءات كاذبة في حضرة رسوخ شواهد تاريخية، تثبت غير ما يقولون وكل متطلبات الهوية، والانتماء تقف شاهدة على تلك الأحقية.

من مبادئ التعددية و القسمة التي انضوت عليها الحجج المنطقية ما أورده إبراهيمي في حديثه عن أحقية العرب المسلمين بفلسطين، مكذبا ما يدعون في قوله: " يقولون إنّ فلسطين منسك للأديان السماوية الثلاثة، وإنّها قبله لتلك الأديان جميعاً، فإنّ كان ما يقولون حقاً -وهو حقّ في ذاته- فإنّ أحقّ الناس بالانتماء عليها العرب، لأنّهم مسلمون، والإسلام يوجب احترام الكتب والكتابين، ويوجب الإيمان بجميع الأنبياء والمرسلين، ويضمن إقامة الشعائر لليهود وللمسيحيين، لا اليهود الذين كذبوا الأنبياء و قتلوهم، وصلبوا-بزعمهم-المسيح الصادق، وشرّدوا حواريه من فلسطين، وكفروا بمحمد بعد ما جاءهم بالبينات²."

تتجلى علاقة التعددية المنطقية في هذا الاستعمال الحجاجي بين الحجج فيما يلي:

فلسطين منسك الأديان الثلاثة وهي -الحقيقة المنطلق منها- وبالتالي الإسلام واحد من الثلاثة والعرب المسلمون أحقّ بها، لأنّ الإسلام أحقّ بالانتماء عليها من خلال جملة من الخصال، تجلت في كونه يوجب احترام الكتب السماوية، كما يوجب الإيمان بجميع الأنبياء، ويضمن إقامة الشعائر لليهود والمسيحيين، وهذا ما غاب عن اليهود، الذين حرفوا دياناتهم عن أصلها، وليس هذا فحسب بل قتلوا الأنبياء، وشرّدوا أتباعهم، وكفروا برسالة خاتم الأنبياء والرسل محمد عليه الصلاة والسلام.

3-2 الحجج المادية التجريبية:

تختلف هذه الأنواع من الحجج عن سابقتها المنطقية، لكونها تستمد من الوقائع، والتجارب المعاشة حيث تتجلى في جملة الآراء الاجتماعية، والوقائع المرجعية المسلم بها، وتعتمد كبراهين في بنية الخطاب الحجاجي، وهي أنواع نذكر منها حجة المثل، حجة الاستشهاد بالمقدسات الدينية عند المسلمين، وحجة التبرير وحجة الاتجاه³، وغيرها من الحجج الملموسة، والقوالب المعترف بها في الذهنيات التي يوجه لها القول لتفنيد أو تأكيد قضية ما.

يعزّز إبراهيمي قوله حول قضية الواجب اتجاه القضية الفلسطينية، من خلال الاستشهاد بجملة من المقدّسات الإسلامية قائلاً: "يا فلسطين إنّ في قلب كل جزائري مسلم من قضيتك جروحاً دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري من محتكك عبرات هامة، وعلى

¹-البشير إبراهيمي، عيون البصائر، ص: 491.

²-البشير إبراهيمي، عيون البصائر، ص: 504.

³-ينظر: صابر الحباشة، من إشكالية تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص، حجاجية المفردة القرآنية أمودجا، ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، إشراف حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن ج 2010، ص: 138.

لسان كل مسلم جزائري في حقك كلمة مترددة وهي فلسطين قطعة من وطني الإسلامي الكبير، قبل أن تكون قطعة من وطني العربي الصغير، وفي عنق كل مسلم جزائري لك يا فلسطين حق واجب الأداء، وذمام متأكدة الرعاية، فإنّ فرط في جنبك أو أضاع بعض حقك فما الذنب ذنبه، إنّما هو ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه، والمرء وداره، والمسلم و قبلته¹.

يصور الإبراهيمي مكانة فلسطين في قلب الجزائري المسلم استشهدا بالمقدسات الإسلامية، فهي جزء من وطنه الإسلامي الكبير، وقطعة من وطنه العربي الصغير، وبالنظر لهذا الانتساب العريق لفلسطين حق واجب الأداء على كل مسلم عربي، وجزائري على وجه الخصوص، فهي قضيتة التي توجب الذود عنها، وتفرض عليه حمايتها و الدفاع عن محتتها.

من الحجج الماديّة والتّجريبية نجد حجة التّبرير، تستعمل لدحض الادعاءات الكاذبة، وإظهار الحقائق وهذا ما أورده الإبراهيمي في قوله: "يا فلسطين ملكك الإسلام بالسيف، ولكنه ما ساسك ولا ساس بنيك بالحيف، فما بال هذه الطائفة الصهيونية اليوم تنكر الحق، وتتجاهل الحقيقة، وتجدد الفضل، وتكفر النعمة، فتزاحم العربي الوارث باستحقاق عن موارد الرزق فيك، ثم تغلوا فتزعم أنّه لا شرب له من ذلك المورد.

ما بالها تدعي إرثا لم يدفع عنه أسلافها غارة بابل، ولا غزو الرمان، ولا عادية الصليبين، وإنّما يستحق التراث من دافع عنه وحامي دونه، وما دافع بابل إلا انحسار الموجة البابلية بعد أن بلغت مداها، وما دافع الرمان إلا عمرو والعرب وأبطال اليرموك، وما دافع الصليب وحامله إلا صلاح الدين وفوارس حطين² فأين اليهود الصهاينة من هؤلاء، وأين كانوا محتبئين حين كانت سيوف الرجال ساطعة.

يفند الإبراهيمي ادعاءات الصهاينة بالأحقية في أرض فلسطين بجملة من الحجج الدامغة، لتبرير موقفه من القضية، وموقف العروبة من الأحقية بها، حيث الذي دافع عن الأرض هو صاحب الحق وهو من يستحق الانتساب لها، وليس المدعي بالأباطيل، والتاريخ يشهد على أنّ من حامى عن أرض فلسطين، وحرّرها من أيدي البابليين، والرمان، والصليبين هم العرب، وأجدادهم الفاتحين، حيث يعقب الإبراهيمي هنا كل ادعاء بحجة دامغة تنسفها نفسها، لا تبقى له أثرا، من خلال خاصية التّبرير و مقابلة كل قول مفترى بحجة دامغة له.

3-3 الحجج المعنوية:

تستمد الحجج المعنوية من القيم المجردة المتعارف عليها بين الناس في كل الأزمنة والأمكنة، مثل الخير والجميل، والمطلق، والكمال والأمانة، وغيرها من الأنماط المشتركة في الأنا الجمعي، أو من قبيل القيم المجسدة كحقائق محسوسة، مثل الدولة والمصلحة والقانون، والمسجد والكنيسة، "ولا يتجسد البعد الحجاجي لها وفق الآليات العقلانية، وإنّما هذه القيم تمارس سلطة الجبر على المتلقّي المندمج في مجالها"³ فهذه الآليات المعنوية تحقق مبدأ الحجاج، من منطلق كونها محط اعتقاد وإيمان عند المتلقّي، وبالتالي هي ليست بحاجة إلى منطق يسيّرهما، بل تتجلى قيمتها الحجاجية في ذاتها.

¹-البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 491.

²-البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص: 492.

³-محمد طروس، النظرية الحجاجية، ص: 36.

من القيم والمركزات المعنوية التي استعان بها الإبراهيمي في الاستدلال للقضية الفلسطينية نجد: القانون، والدين والتاريخ، حيث يقول: "ولو أنّ السيوف الإنجليزية أعمدت، والذهب الصهيوني رجع إلى مكانه، وعرضت القضية على مجلس عدل وعقل لا يشوبه بريق الذهب، ولا يرهبه بريق السيوف لقّال القانون: إنّ ثلاثة عشر قرناً كافية للتملك بحق الحياة، وقال الدين: إنّ أحقّ الناس بمدافن الأنبياء هم الذين يؤمنون بجميع الأنبياء، وقال التاريخ: إنّ العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدموا لهم فيها دولة قائمة، ولا ثلّوا لهم عرشاً مرفوعاً، إنّما انتزعوها من الرومان فهم أحقّ بها من كل إنسان"¹.

فلو أصغى الصهاينة لمبدأ القانون لكانت فلسطين حق للعرب بالحياة، لأنّ ثلاثة عشر قرناً من الوجود عليها كافية، ولو أصغوا لمبدأ الدين فإنّ أحقّ الناس بها من يؤمنون بجميع الأنبياء، وهم العرب المسلمون، ولو أصغوا لمبدأ التاريخ فإنّه يشهد أنّه لم يكن لليهود دولة قائمة على أرضها، بل العرب انتزعوها من الرومان و طهروها من رجسه.

4-خاتمة:

نخلص في نهاية هذا البحث إلى أن الاستراتيجية الحجاجية في الخطاب النثري عند البشير الإبراهيمي حول القضية الفلسطينية تجلّت في الآتي:

-حققت الروابط اللغوية عملية الجمع المنطقي بين الحجج والنتائج المنتظرة، كما ساهمت أيضاً في عملية ترتيب الحجج من القويّة إلى الأقوى، من أجل خدمة المبتغى العام، والمقصد المنتظر تحقيقه من الخطاب، والمتمثل في شحذ الهمم نحو الدفاع عن القضية الفلسطينية.

-تجلّت معالم الاستدلال المنطقي في كتابات البشير الإبراهيمي حول القضية الفلسطينية، من خلال جملة الحجج المتنوعة، الحجج المنطقية، والحجج التجريبية المادية، والحجج المعنوية، وذلك من أجل تأييد الأحقية في الدود عنها من جهة.

- ساهمت الحجج المنطقية، والتجريبية، والمادية في إبطال الدعاوي الكاذبة، وإظهار الحقائق للرأي العام عن طريق ما تتيحه هذه الحجج من استلزام بينها وبين النتائج المنتظرة في تحقيق الإقناع عند المتلقّي.

¹-البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، ص:493.

5-قائمة المراجع المعتمدة:

- 1-البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، دار الأمة للطباعة و النشر،الجزائر،2007.
- 2-أبو بكر العزاوي،اللغة و الحجاج،العمدة في الطباعة،المغرب، ط 1426،1/2006.
- 3-الدّريدي سامية،الحجاج في الشعر العربي القديم،بنيته و أساليبه،عالم الكتب الحديث، إريد،الأردن ،ط2 1432 هـ/2011م.
- 4-الحباشة صابر،من إشكالية تطبيق المنهج الحجاجي على النصوص،ضمن كتاب الحجاج مفهومه و مجالاته، إشراف حافظ اسماعيلي علوي،عالم الكتب الحديث،إريد،الأردن،ج2، 2010 .
- 5-جابر عصفور،الصورة الفنية في التراث النقدي و البلاغي،دار الثقافة للطباعة و النشر،القاهرة،1984.
- 6-عمارة ناصر،البلاغة والفلسفة، مقارنة حجاجية للخطاب الفلسفي، منشورات الاختلاف، الجزائر ط 1، 2009/1430.
- 7-محمد عباس،الإبراهيمي أديبا،منشورات ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر.
- 8-محمد طروس،النظرية الحجاجية من خلال الدراسات البلاغية و المنطقية و اللسانية،دار الثقافة للتوزيع و النشر،دار البيضاء،المغرب،ط1، 1426، 2005/.